
كتاب التوحيد
للإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب
- رحمه الله -
شرح فضيلة الشيخ
رزق بن حامد القرشي
- حفظه الله تعالى -
ahmedbazmool-meerathnabawee.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

أمَّا بعدُ :

فنحمد الله ﷻ الذي يسر لنا هذه اللقاءات الطيبة والمباركة والدروس النافعة بإذن الله ﷻ عبر هذا المعهد المبارك معهد الميراث النبوي ، والذي - ولله الحمد والمنة - قد ذاع صيته وذاع جهده وعُرِف فضله - ولله الحمد والمنة - ، فيما يقوم به هذا المعهد من نشر العلم المُؤصَّل بالكتاب والسنَّة وما كان عليه سلف هذه الأمَّة .

وفي هذا اليوم المبارك - وهو اليوم الخامس من شهر ربيعٍ الثاني - نبدأ مستعينين بالله ﷻ في هذا الكتاب العظيم وهو " كتاب التوحيد " لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ؛ وهذا الكتاب غنيٌّ عن التعريف لما له من القبول عند أهل العلم وطلبة العلم ، ويدل على هذا أن هذا الكتاب له من الشروح المطبوعة والمخطوطة الكثير والكثير جدًّا فقد قارب المطبوع إلى ستين شرحا غير المخطوط ، وهذا فضلٌ من الله ﷻ ودليلٌ على قبول هذا الكتاب الذي بذل فيه الإمام وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب جهدًا عظيمًا واستخلصه من كتاب الله ومن سنَّة النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – .

وفي الحقيقةِ هذا الكتاب أُشَبِّهُه بكتاب الإمام البخاري - رحمه الله - ، حيث أن الإمام البخاري – رحمه الله – بَوَّب كتابه الصحيح وجعله كُتبًا وأبوابًا ، ولذلك الناظر في طريقة الإمام البخاري – رحمه الله – في تبويب صحيحه يجد أن هذه الأبواب تحملُ الفقه المراد من الأحاديث والآيات التي تحت هذا العنوان ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله - عندما ينظر طالب العلم في طريقته في تبويب هذا الكتاب " كتاب التوحيد " وجَعْلهِ أبوابًا

يجد أن هذه الأبواب فيها فقهٌ عقديٌّ عظيم جدًّا ، ولذلك يدل على فقه العنوان ما يسرده تحت هذا العنوان من آيات وأحاديث وآثار - فرحمه الله رحمةً واسعة وغفر له وجمعنا به يوم القيامة - .

وفي الحقيقة نحن في صدد شرح لهذا الكتاب المبارك ، وأعتذر مَقدَّمًا أنني لا أستطيع أن آتي على كل ما يحمل هذا الكتاب وإنما جهد المُقِل ونسأل الله ﷻ أن يتقبل منا ما نقدمه وأن يعفوَ عن الخطأ ، وأريد قبل أن أبدأ أننا في هذا الفصل المبارك أن أبين أننا نريد أن نشرح من هذا الكتاب في هذا الفصل أو في هذا " التيرم " كما يسمونه عشرة أبواب ، وأريد حقيقةً التركيز على الأبواب والاستفادة ثم بعد ذلك يكون الاختبار كالعادة أو كما تقرر إدارة هذا المعهد – جزاهم الله خيرًا - ، فأيضًا أزف لكم بشرى أن الشيخ أحمد بازمول – وفقه الله – سيبدأ غدًا في استكمال دروسه ، ونسأل الله ﷻ لنا وله ولإخواننا الإعانة وأن تكون فاتحةُ خيرٍ وبركة في هذا الفصل القادم .

نبدأ مستعينين بالله في هذا الكتاب وهو أول باب قال :

(كتاب التوحيد)

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿ 56 ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿ 57 ﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ 58 ﴾ ﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿ 36 ﴾ ﴾ [2]

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿ 23 ﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿ 24 ﴾ ﴾ [3]

---

[1]) سورة الذاريات [الآيات : 56–57–58] .

[2]) سورة النحل [الآية : 36] .

[3]) سورة الإسراء [الآيتين 23 – 24] .

وقال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [4]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿151﴾ ﴾ [5]

وَعَنْ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ : (كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِي - صلى الله عليه وآله وسلم - عَلَى حِمَارٍ ، فَقَالَ لِي : يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العَبِيدِ ؟ وَمَا حَقُّ العَبِيدِ عَلَى اللَّه ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم ، قَالَ : حَقُّ اللَّهِ عَلَى العَبِيدِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ولاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا ، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّب مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاس ؟ قَالَ : لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا) أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

المؤلف - رحمه الله وغفر له - استدلّ تحت هذا العنوان **"كتاب التوحيد"** بهذه الآيات الكريمة التي هي تقريرٌ لتوحيد الله ﷻ ، وبيان أنّ الله ﷻ لم يخلق النّاس عبثًا ولا هملًا ؛ وإنّما خلقهم لغاية وهي لعبادته ﷻ ، وإفراده بالعبادة ، وإخلاص العبودية لله ﷻ .

ومعنى قوله - جلّ وعلا - : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿ 56 ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿ 57 ﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ 58 ﴾ ﴾ [7]؛ يخبرنا الله ﷻ أنّه هو الذي أوجد الجن والإنس ، وأنّ الحكمة من إيجادهم هي إفراده بالعبادة والكفر بما سواه ، وأنّه لم يَخلُقهم لمصلحةِ نفوذ لذاته وإنّما أوجدهم للعبادة وتكفّل بأرزاقهم ، وهو صادق لوعده قادرٌ على تحقيقه لأنه قويٌّ متين ، وفي هذه الآية أسرد لكم ما فيها من الفوائد وهي فوائد كثيرة منها :

---

[4]) سورة النساء [الآية : 36]

[5]) سورة الأنعام [الآية :151]

[6]) أخرجاه في الصحيحين .

[7]) سورة الذاريات [الآيات : 56-57-58] .

- أن الحكمة في خلق الجن والإنس هي إفراد الله بالعبادة .
- **ومنها** : إثبات وجود الجنّ .
- **ومنها** : كمال غنى الله ﷻ عن خلقه .
- **ومنها أيضًا** : أن مصدر الرزق من الله ولكن العبد مأمورٌ بفعل الأسباب .
- **ومنها** : إثبات اسمين من أسماء الله وهما : الرزاق والمتين .

وفي هذا دِلالة الآية الكريمة على أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي إفراد الله بالعبادة والكفر بما سواه ، وهنا عندما ذكر اسمين من أسماء الله ﷻ الرزاق والمتين ، نريد أن نبدأ بقاعدة تكون معنا في هذه الدروس وهي أن أسماء الله ﷻ وصفاته لابد من الإيمان بها ؛ هذا أولًا ، ثم الإيمان بما دلت عليه من المعاني ، ثم تفويض الكيفية لله ﷻ لا ندخل في صفاته

- كيف ؟
- ولمَ ؟

هذه الأمور لابد أن تكون معنا حتى ننتهي من العشر الأبواب لا نحتاج إلى الرجوع ، عندما نذكر صفة من صفات الله أو اسم من أسماء الله ؛ أن هذه القاعدة عندنا الإيمان الجازم بأسماء الله وصفاته ، والإيمان بما دلت عليه من المعاني ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ، هذه قاعدة لابد أن تكون معنا حتى ننتهي من هذه العشر الأبواب ثم نبدأ بغيرها ، بل لابد أن تكون هذه القاعدة محفوظة عند العبد إلى أن يموت ، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهي معنى توحيد الله ﷻ في أسمائه وصفاته .

ثم قال – جل وعلا - : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿ 36 ﴾ ﴾ (8) .

معنى قوله تعالى ﴿ بَعَثْنَا ﴾ : أي أرسلنا ، والرسول : هو من أُوحِي إليه بشرع وأُمِر بتبليغه ، و﴿ رسول ﴾ : هنا نكرة تعم جميع الرسل ، ومعنى ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ : أي وحدوه بجميع أنواع العبادة ،

و العبادة لغةً : التذلل ، العبادة لغةً : التذلل لله ﷻ .

---

8) النحل [الآية : 36] .

ومعنى قوله : ﴿ اجْتَنِبُوا ﴾ : أي ابتعدوا ! أي ابتعدوا ! و﴿ الطَّاغُوتَ ﴾ : هو كل ما تجاوز به العبد حده ؛ من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ في غير طاعة الله ورسوله ، والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة :

- إبليس لعنه الله .
- ومن غيَّر أحكام الله .
- ومن حكم بغير ما أنزل الله .
- ومن دعا إلى عبادة نفسه .
- ومن عُبِد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة .

ومعنى ﴿ هَدَى اللَّهُ ﴾ : أي وفقه للخير ، معنى ﴿ هَدَى اللَّهُ ﴾ في الآية : أي وفقه للخير .

- ومعنى قوله تعالى : ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ : وجبت وثبتت لكفره وعناده ، والضلالة : هي الكفر .

- ومعنى ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ : أي سيروا سَير اعتبارٍ وتفكُّر ، سَير اعتبارٍ وتفكُّر في هذا الخلق الذي خلقه الله .

- ومعنى قوله : ﴿ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ : من الأمم السابقة ؛ كعادٍ وفرعون وما وقع بهم من عاقبة التكذيب .

- وفي هذه الآية أيضًا نجد فوائد - وأنا أريد أن تحرصوا على الفوائد في الآيات ؛ لأنها دِلالات ومعاني فقهية في هذه .. وعقدية في هذه الفوائد - فمن الفوائد في هذه الآية :

- بيان أن الناس لم يتركوا هملا ، بيان أن الناس لم يتركوا هملا .

- ومن الفوائد أيضًا : عموم الرسالة لجميع الأمم ونفس الفترة بين الرسل التي تُوجِب طمس معالم الدين بالكلية ، وهذه الرسالة – رسالة محمد ﷺ - هي رسالةٌ خاتمة لجميع الرسالات وليس بعده رسولٌ ولا نبي .

- ومن الفوائد أيضًا : أن مهمة الرسل الدعوة إلى عبادة الله والكفر بما سواه .

- ومن الفوائد أيضًا : أن هداية التوفيق خالصةٌ لله دون غيره ، هداية التوفيق خالصةٌ لله دون غيره ؛ ولذلك هذا يقودنا إلى بيان أمر وهي أن معنى الهداية ، الهداية تنقسم إلى قسمين :

- هداية بيان ودلالة وإرشاد .
- وهداية توفيق .
- أمَّا هداية البيان والدلالة والإرشاد : فهي ما يقوم به الرسل وأتباع الرسل والعلماء وأهل الفضل من الدعوة إلى الله ، وبيان التوحيد وبيان ما يضاده ، ودعوة الناس إلى دين الله ﷻ ، وهذه تسمى : " هداية بيان ودِلالة وإرشاد " .
- وأمَّا دِلالة التوفيق : فهي لله ﷻ أو لله ﷻ ، فمن شاء الله وفقه وسدده وأقامه على الصراط المستقيم ، ومن شاء غير ذلك فهذه مشيئة الله ﷻ لا ندخل في هداية التوفيق وليس لنا ذلك ، وإنما وظيفة العبد أن يُبيِّن دين الله ﷻ ؛ وظيفة الرسل ؛ وظيفة العلماء من بعد الرسل أن يُبيِّنوا للناس هذا الدين ويُرشِدوهم إلى الدين الحق الذي جاء به النبي ﷺ والذي هو في كتاب الله وسنة النبي ﷺ ، وهداية التوفيق بيد الله ﷻ .

-ومن الفوائد أيضًا : لا يلزم من أمر الله بالشيء إرادته له ، لا يلزم من أمر الله بالشيء إرادته له ، فالله ﷻ خلق الشر وخلق الخير ، فخلق الخير وأراده للأمة وخلق الشر ولم يرده للأمة ، نعم ؛ فهذا هو المعنى .

- ومن الفوائد أيضًا : استحباب السياحة لقصد الاعتبار والتفكر بآثار القرون الأولى فهذا أن الإنسان عندما يخرج وينظر إلى ملكوت السماوات والأرض والجبال ، وما خلق الله ينظر إليها للاعتبار والتفكر في عظم خلق الله ﷻ .

وفي قوله ﷻ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[9] ؛ في هذه الآية أيضًا يأمر الله ﷻ جميع المُكلَّفين بأن يفردوه

[9]) سورة الإسراء [الآيتين : 23 – 24] .

وأن يبروا بوالديهم ، وأكَّدَ حق الوالدين بذكره بعد حقه ﷻ ، ثم ذكر بعض أنواع البر لهما وخاصة في حال العجز والضعف ومن ذلك عدم إظهار ما يشعر بالضيق منهما وعدم رفع الصوت بزجرهما ، والأمر بلين الجانب لهما واللطف في الكلام معهما والدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما ، فهذا الذي تحمله هذه الآية أن الله ﷻ قارن عبوديته – جل وعلا – وذكرها وحثَّ عليها ثم ذكر بر الوالدين ، فلذلك قال الله ﷻ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ؛ وهذا دليلٌ على عظم بر الوالدين بعد عبودية الله ﷻ ، وهنا معاني لبعض الكلمات في هذه الآية :

معنى قوله : ﴿ وَقَضَىٰ ﴾ : أي وأمر وأوصى ، أي أمر وأوصى .

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ : أي لا تصرفوا جميع أنواع العبادة إلَّا لله دون غيره ، فمن صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله فقد كفر وأشرك بالله ما لم ينزل به سلطانًا.

قال ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ : الإحسان إلى الوالدين هو احترامهما والقيام بما يُصلِح أحوالهما والدعاء لهما وصلة الرحم التي لا تُوصَل إلا بهما ، وبعد وفاتهما الاستمرار في الدعاء لهما وإكرام صديقهما .

قال : ﴿ عِندَكَ ﴾ : أي في كنفك ورعايتك .

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ : أي لا يظهر منك ما يُشعِر بالضيق والضجر منهما .

ومعنى قوله : ﴿تَنْهَرْهُمَا ﴾ : تزجرهما .

ومعنى قوله : ﴿ كَرِيمًا ﴾ : أي جميلًا لا شراسة فيه من القول الجميل الذي لا شراسة فيه .

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ : تواضع وتذلل بهما ، لا خوف العار وطلب الحظوة لديهما فقط ، وإنما تجعل ذلك لله تتقرب بهذا التَّذلُّل وهذا التَّلطف للوالدين ؛ تتقرب به إلى الله ﷻ .

وفي الآية فوائد :

- أولًا : وجوب إفراد الله بالعبادة .

- **والثاني** : وجوب البر بالوالدين على كل واحدٍ من الولد بعينه .

- **الثالث** : التكافل الاجتماعي موجود في الإسلام التكافل الاجتماعي هنا موجود في الإسلام وهذا من أنواعه .

وهذه الآية تُناسب ودلت الآية الكريمة على وجوب إفراد الله بالعبادة على وجوب إفراد الله بالعبادة ، ودلت أيضًا هذه الآية على وجوب بر الوالدين .

وقال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿ 36 ﴾ ﴾ [10] وهذه أيضًا الآية كسابقتها من الآيات دلت على إفراد العبادة لله ﷻ وعدم الشرك به ﷻ .

- **وفيها أيضًا من الفوائد** : وجوب عبادة الله وحده ، ووجوب بر الوالدين وطاعتهما ما لم يكن في معصيةٍ أو شيء يضرُّ الولد لقول رسول الله ﷺ : (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) [11]

- **ومن الفوائد** : مشروعية صلة الأقارب حسب قربهم من الشخص .

- **ومن الفوائد في هذه الآية** : وجوب الإحسان إلى من تعوله من الأيتام ، وذلك بحفظهم وحسن تربيتهم وتنمية مالهم .

- **ومن الفوائد أيضًا** : استحباب الإحسان إلى المساكين وأنواع الإحسان كثيرة .

- **ومن الفوائد** : وجوب حق الجار .

- **ومن الفوائد** : الحث على مساعدة كل من لزمك يرجو فضلك من رفيق سفر وحضر ونحوهما .

- **ومن الفوائد أيضًا** : وجوب مساعدة المنقطِع به في السفر .

- **ومن الفوائد أيضًا** : وجوب الإحسان إلى المماليك .

---

[10]) سورة النساء [الآية : 36] .

[11]) الراوي : يحيا المازني ، المحدث : البيهقي ، المصدر : السنن الكبرى للبيهقي ، الجزء أو الصفحة : (10 /133) ، حكم المحدث مرسل .

- ومن الفوائد أيضًا في هذه الآية : تحريم الكبر والخيلاء .

- ومن الفوائد أيضًا : إثبات صفة المحبة لله .

وكما تقدم عقيدتنا في صفات الله ﷻ أن الله ﷻ له من الأسماء والصفات الحسنى الواجب الإيمان بها كما جاءت والإيمان بما دلت عليه.

وفي هذه الآية أيضًا دليلٌ على أن الله ﷻ هو المتفرد بالربوبية والوحدانية فيجب أن تُصرَف العبادة له ﷻ ولا تُصرَف لغيره .

وقول الله ﷻ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿151﴾ ﴾ ([12]).

ومعنى قوله في هذه الآية : ﴿ تَعَالَوْا ﴾ : أي أقبِلُوا.

﴿ أَتْلُ ﴾ : أقصص عليكم .

﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ : ما حرم بحق ، لا تخرصًا وظنا.، والتحريم لغة : المنع .

﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ : لا تعبدوا معه غيره ؛ وهذا معنى أن لا تشركوا به شيئا ؛ أي لا تعبدوا مع الله إلها آخر.

و﴿ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ﴾ : لا تقتلوا بنيكم وبناتكم من أجل الفقر ؛ لأنهم كان في الجاهلية يقتلون الأبناء والبنات خشية الفقر .

ومعنى ﴿ الْفَوَاحِشَ ﴾ في هذه الآية : هي المعاصي كبيرها وصغيرها .

و﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ : أي ما كان بينك وبين الناس.

و﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ : أي ما كان بينك وبين الله عندما تكون خاليًا فتعصي الله ﷻ ، أو تكون مظاهرًا بالفواحش عند الناس فهذا معنى الظاهر والباطن في المعاصي .

---

[12]) سورة الأنعام [الآية : 151] .

قال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ : نفس المسلم والكافر المعاهِد والذمي والمستأمَن ؛ هذه الأنفس لا تقتل إلا بحق : نفس المسلم ونفس الكافر ونفس المعاهِد ونفس الذمي ونفس المستأمَن ؛ هذه لا تقتل إلا بحق ، وسيأتي معنا ما هو النظام في هذا الذي شرعه الله ﷻ لهذه الأنفس .

﴿ إِلَّا بِالْحَقِ ﴾ : المراد بالحق : زنًا بعد إحصان أو كفر بعد إيمان أو القتل المتعمد لنفسٍ معصومةٍ فيُقتَل به وهو القصاص ، أو غير ذلك مما أباح الإسلام قتل النفس به ، أمَّا ما عدا ذلك فلا .

﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ : الإشارة تعود إلى المحرمات السابقة .

﴿ وَصَّاكُم ﴾ : الوصية : هي الأمر المؤكَد .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ : لكي تعقلوا ما ذُكِر فتعملون به .

وفي هذه الآية من الفوائد : أن الشرك هو أكبر الكبائر أن الشرك هو أكبر الكبائر ولا يصح معه عمل لهذا بدأ الله به .

- ومن الفوائد : وجوب البر بالوالدين أيضا .

- ومن الفوائد : تحريم قتل الأولاد ؛ ويلحق به الإجهاض بعد أربعين يومًا من ابتداء الحمل .

- ومن الفوائد : تكفّل الله بالرزق لجميع الناس .

- ومن الفوائد : مكافحة الحمل خوف الفقر من أعمال الجاهلية .

- ومن الفوائد : تحريم الفواحش وما يؤدي إليها .

- ومن الفوائد : تحريم قتل النفس التي حرم الله إلَّا بالحق .

- ومن الفوائد أيضًا : لم يُفصِّل الله المراد بالحق هنا ، وقد ذكر النبي ﷺ شيئًا منه في حديث صحيح مفاده زنًا بعد إحصان وكفرٌ بعد إيمان والنفس بالنفس ؛ هذا الذي شرعه الله ﷻ في قتل من أوجب الله ﷻ قتله ، وما عدا ذلك فالقتل كبيرةٌ من كبائر الذنوب لا يقدم عليها إلا أحد رجلين ؛ إمَّا أن يكون طاغيةً مجرمًا لا يعرف حق الله ﷻ في عباده أو يكون رجل تغير عقله إمَّا مجنون وإمَّا تغير عقله بمسكرٍ أو غير ذلك .

واستدل أيضًا الإمام على هذا الباب بهذا الحديث المخرج في الصحيحين عَنْ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارًا ، فَقَالَ لِي : (يَا مُعَاذُ ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العَبِيدِ ؟ وَمَا حَقُّ العَبِيدِ عَلَى اللَّه ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم ، قَالَ : حَقُّ اللَّهِ عَلَى العَبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، ولَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا ، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا) [13] أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

وفي الحديث أيضًا هذا معنى قوله : (رَدِيفَ النَّبِي ﷺ) : أي راكبًا خلفه ، وهذا من تواضع النبي ﷺ على أنه كان يردف أصحابه على الدابة .

(حَقُّ اللَّهِ عَلَى العَبَادِ) : حق إيجاب أي حق الله على العبيد واجب وهو إفراده بالعبادة سبحانه وتعالى ، والقيام بما أمرهم به والانتهاء عما نهى عنه .

(وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ) : أي ما أوجبه الله على نفسه إنعامًا وتفضلًا وليس استحقاق مقابلة حق المخلوق على المخلوق ، وإنما تفضل من الله عز وجل أن أوجب على نفسه ولم يوجب عليه أحد ؛ أوجب على نفسه أن من عبد الله عز وجل ولم يشرك به شيئا أن يدخله الجنة ويغفر له .

ومعنى قوله : (أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟) : أي أخبرهم بما يسرهم من هذا القول .

(يَتَّكِلُون) : أي يعتمدون على هذا الأمر ، فيريد النبي ﷺ من الناس أن يعملوا لله عز وجل وأن يتنافسوا في العمل حتى تكثر مع ذلك – يعني - أعمالهم التي يحصيها الله عز وجل لهم .

وفي هذا الحديث أيضًا أنه ذات يوم كان راكبًا خلف النبي ﷺ ، أن معاذ كان راكبًا خلف النبي ﷺ على حمارٍ ، فأراد النبي ﷺ أن يخصه بأهم مسائل العلم وأجلها وقد استعمل رسول الله ﷺ الأسلوب الاستجوابي في تعليم معاذ وتشويقه فقال : " وأن معاذ لم يخض فيما لا يعلم ، وأن النبي ﷺ بيّن لمعاذ حقيقتين هامتين هما : ما يجب لله على المكلفين من خلقه وما أوجبه لعباده على نفسه إنعامًا وتفضلًا ، ولما كان معاذ يحرص على ما يسر المسلمين استأذن من النبي ﷺ أن ينشر هذه المسألة فنهاه النبي ﷺ مخافة أن يعتمدوا على هذا الوعد ويتركوا التنافس في الأعمال الصالحة التي تحط سيئاتهم

[13]) أخرجاه في الصحيحين .

وترفع درجاتهم ؛ لكن معاذًا أخبر تحرجًا من كتمان العلم مع أن العاقل يفهم تحذير النبي ﷺ متى هو ؟ من الاتكال من قوله : (فَيَتَّكِلُونَ) " ؛ فلذلك الإنسان يعمل ولا يَتكِّل على هذه النصوص التي يسمعها " نصوص الوعد بالأعمال والوعد بالمغفرة والوعد بغير ذلك من رفع الدرجات " ، وإنما يعمل لأن الأنبياء وهم خير الخلق عملوا واجتهدوا في العمل ؛ فلذلك من حقنا ومن واجب الواجب علينا أن نعمل لله ﷻ لِمَا أوجبه علينا وأن نترك ما نهانا عنه – ها - وأن نترك ما نهانا عنه خوفًا من الله ﷻ ورجاء مغفرته .

وهذا الحديث أيضًا فيه من الفوائد ونختم هذا الدرس بهذه الفوائد وهي فوائدُ كثيرة جدًّا ولكن نختصرها في بعضها منها من هذه الفوائد :

- جواز الإرداف على الدابة إذا لم يشق عليها .

- والثاني : تواضعه – صلى الله عليه وآله وسلم – مع أصحابه .

- والثالث : أن عَرَق الحمار طاهر لا ينقض الوضوء ، أنا سبق وأن قلتُ أن هذا الإمام – رحمه الله – يحمل في هذا في هذه العناوين فقهًا غير فقه عقدي أيضًا فقهًا في العبادات ؛ فلذلك انظر إلى هذه الفائدة : أن عَرَق الحمار طاهر .

- ومن الفوائد أيضًا : فضل معاذ ابن جبل رضي الله عنه حيث أردفه النبي ﷺ معه على الحمار .

- ومن الفوائد : الأسلوب الاستجوابي في التعليم من أساليب الإسلام عندما قال : (أَتَدْرِي يَا مُعَاذ ؟!) ؛ وفيها لَفْتَ نظر للرجل أن يسمع ما يريده أو يسمع ما يُرادُ منه .

- ومن الفوائد أيضًا : تحريم الخوض فيما لا يعلمه الشخص ، تحريم الخوض فيما لا يعلمه الشخص .

- ومن الفوائد أيضًا : أول حقٍّ لله على المُكلَّفين إفراده بالعبادة .

- ومن الفوائد أيضًا : من مات على التوحيد أمِن من العذاب إذا لم يرتكب كبائر تُعرِّضه لدخول النَّار .

- ومن الفوائد أيضًا : الجمع بين هذا الحديث وبين حديث (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهَ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ يَومَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَّارٍ) [14] **؛ أن حديث الإلجام يفيد تحريم الكتم عمومًا في جميع المسائل ، أمَّا حديثنا هذا فيفيد جواز كتم العلم إذا ترتب على إظهاره مفسدة مُتَحقِقَة .**

والله أعلم وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وإلى الدرس القادم – إن شاء الله – يوم الأحد القادم – بإذن الله – في مثل هذا الوقت .

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح وأن يثبتنا وإياكم على التوحيد والسنَّة حتى نلقى الله ﷻ إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه .

وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

[14] **) الراوي : أبو هريرة ، المحدث : المنذري ، المصدر : الترغيب والترهيب ، الجزء أو الصفحة : (1/97).**